تَقْدِيمُ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ/ أَحْمَدَ الْجُوْهَرِي عَبْدِ الْجَوَّادِ -سلمه الله ونفعنا به – من علماء الأزهر الشريف-

بِسْمِ اللهِ ، وَبِحَمْدِهِ، وَصَلَاةً عَلَى رَسُولِهِ وَسَلَامًا، وَرِضْوَانًا عَلَى صَحَابَتِهِ وَتَابِعِيهِمْ حَتَّى نَلْقَاهُمْ.

أَمَّا قَبْلُ، فَمَا حَظِيَ مَخْلُوقٌ من جِنٍّ وَلَا بَشَرٍ وَلَا مَلَكٍ بِمِثْلِ مَا حَظِيَ بِهِ مُحَمَّدٌ مِنَ التَّكْرِيمِ وَالتَّعْظِيمِ، وَلَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا، وَالْأَشْجَارُ أَقْلَامًا، وَالْأَلْسِنَةُ طَوْعًا، وَالْبَيَانُ طَلْقًا، مَا وَفَّيْنَاهُ حَقَّهُ مِنَ الثَّنَاءِ، وَلَعَجَزْنَا عَنْ تَتِمَّةِ بَيَانِ مَنْزِلَتِهِ وَقَدْرِهِ الْعَظِيمِ.

فَمَاذَا عَسَانَا نَقُولُ فِيمَنْ ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَوَّلَ النَّبِيِّينَ رَغْمَ أَنَّهُ آخِرُ مَنْ بُعِثَ مِنْهُمْ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: {**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا**} [الْأَحْزَابِ: ٧، ٨].

وَهَلْ هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُ:

فَاقَ النَبِيّينَ فِي خَلْقٍ وَفِي خُلُقٍ ... وَلَمْ يُدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلاَ كَرَمِ

وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ ... غَرْفًا مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

وَوَاقِفُونَ لَدَيْهِ عِنْدَ حَدِّهِم ... مِنْ نُقْطَةِ العِلمِ أَوْ مِنْ شَكْلَةِ

فَهُوَ الذِّي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ... ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيبًا بَارِئُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ فَجَوْهَرُ الحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

وَمَاذَا عَسَانَا نَقُولُ فِي بَيَانِ قَدْرِ مَنْ أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحَيَاتِهِ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} أَيْ: وَحَيَاتِكَ يَا مُحَمَّدُ، وَلَمْ يُقْسِمْ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ بِحَيَاةِ بَشَرٍ غَيْرِهِ.

وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ:

مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْ نِ وَالْفَرِيقَيْنِ مِنْ عُرْبٍ وَمِنْ
نَبِيُّنَا الْآمِرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ أَبَرَّ فِي قَوْلِ لَا مِنْهُ وَلَا نَعَمِ

وَلَا غَرْوَ فَهَا هُوَ ذَا ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَقُولُ: "**إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ**.." [رَوَاهُ أَحْمَدُ (٣٦٠٠) وَحَسَّنَهُ ابْنُ حَجَرٍ فِي الْأَمَالِي الْمُطْلَقَةِ (٦٥)].

فَكَيْفَ لَا يَعْجَزُ اللِّسَانُ عَنْ كَامِلِ الْبَيَانِ فِي حَقِّ الْمُصْطَفَى عَلَى سَائِرِ الْأَكْوَانِ:

فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهُ حَدٌّ فَيُعْرِبَ عَنْهُ نَاطِقٌ بِفَمِ

وَأَكْثَرُ النَّاسِ سَعَادَةً بِمَعْرِفَةِ مَنْزِلَةِ الْمُصْطَفَى وَأَغْزَرُهُمْ عِلْمًا بِجَاهِهِ هُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِمَحَبَّتِهِ، وَعَمَرَ أَلْسِنَتَهُمْ ذِكْرُهُ، وَشَغَلَتْ جَوَارِحَهمْ طَاعَتُهُ، وَبَذَلُوا الْغَالِيَ وَالنَّفِيسَ فِي سَبِيلِ نُصْرَةِ دِينِهِ، وَأَفْنَوْا مُمْتَلَكَاتِهِمْ، وَبَذَلُوا أَرْوَاحَهُمْ رَخِيصَةً مِنْ أَجْلِ رَفْعِ رَايَتِهِ، وَتَوَارَثُوا ذَلِكَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ فِي هَذَا الشَّرَفِ الْعَظِيمِ.

فَلَا عَجَبَ تَرَى فِي حُرُوفِهِمْ نُورًا يَتَلَأْلَأُ، وَتَجِدُ فِي كَلِمَاتِهِمْ هُدًى يُضِيءُ وَيَلْمَعُ، وَتُحِسُّ فِي أَنْفَاسِهِمْ حَرَارَةً تُرْشِدُ وَتَعْلِّمُ، وَتَلْفَي صَمْتَهُمْ يَرْوِي وَيَمِيرُ.

وَأَحْسَبُ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الْمُوَقَّرَ صَاحِبَ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أُولَئِكَ النَّفَرِ وَاللهُ حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا، وَمَا شَهِدْتُ إِلَّا بِمَا عَلِمْتَ وَمَا كُنْتُ لِلْغَيْبِ مِنْ الْحَافِظِينَ، كَتَبَ اللهُ أَجْرَهُ وَأَجْرَ وَالِدَيْهِ وَآلِ بَيْتِهِ وَضَاعَفَهُ وَجَمَعَهُمْ بِسَيِّدِ النَّبِيِّينَ فِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى، وَنَفَعَنَا وَرَفَعَنَا إِلَى تِلْكَ الْمَنَازِلِ مَعَهُمْ بِبَرَكَتِهِمْ وَمَحَبَّتِنَا لَهُمْ، آمِينَ.

وَبَعْدُ، فَعَلَى اسْتِحْيَاءٍ مِنْ صَاحِبِ هَذِهِ الْأَنْفَاسِ الطَّيِّبَةِ فِي حُبِّ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ سَطَّرْتُ هَذَا التَّقْدِيمَ خِلْسَةً مِنْ خَجَلِي أَنْ لَا أُجِيبَ طَلَبَهُ، تَحْدُونِي الرَّغْبَةُ فِي اقْتِرَانِ حَرْفِي بِحَرْفِهِ فِي الْحَدِيثِ عَنْ حُبِّ مَنْ نَرْجُو جَمِيعًا شَفَاعَتَهُ، وَأَجْعَلُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَسِيلَةً -إِنْ تَصْلُحْ- بَيْنَ يَدَيْ رَجَائِي مِنْ اللهِ

تَعَالَى، فَاللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِالْخَفَايَا وَمَا اجْتَرّتْ وَأَنْتَ أَرْحَمُ بِالْحَنَايَا وَمَا ضَمَّتْ وَقَدْ أَنْزَلْتُ حَاجَتِي بِكَ إِنْزَالَ الْيَائِسِ الْمُنْقَطِعِ إِلَّا مِنْكَ.. شَفِيعِي: حُبِّي مُحَمَّدًا وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَالصَّالِحِينَ فَاجْمَعْنِي بِهِمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِعَمَلِهِمْ، وِحَافِزِي: قَوْلُ حَبِيبِي: **"الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ"** [أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦١٦٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٤٠)] فَتَقَبَّلْ دُعَائِي يَا قَرِيبُ. وَانْفَعْ بِهَذَا الْكِتَابِ، وَتَقَبَّلْهُ، وَبَارِكْهُ، يَا مُجِيبُ.

أَحْمَدُ الْجَوْهَرِي عَبْدُ الْجَوَّادِ – من علماء الأزهر–